لا تغازل الاشجار ... حتـى أعـود

عـز الدين المناصـرة

ـ 1 ـ

علـى سنـديـانـة المنفـى
قفـز العصفـور .. ابـن الطـائـر
وقاطعنـي بالبكـاء علـى أحبـابـه الراحليـن .
مـا ذنبـي يـا « جفـرا » !
اذا كـان الفصـل صيفـا
وأمطـرت الـدنيـا في حديقـة المدينـة
مـا ذنبـي !
اذا خرج العصفـور ابـن الطـائـر
في هـذا الفجـر الحـزين
وقاطعنـي بالغنـاء عـن أحبابه الراحلين .
لماذا يذكرني الطـائـر بـن الطـائـر
بأحبابـه الـراحليـن .
أي رحيـل لـم يكـن فيـه احبـابـي ؟ !!

ـ 2 ـ

ذهبت هذا الصباح الى مقبرة الشهداء
الأرزة عـاليـة
الجبـل اخـضـر
البحـر بـدا في الشهيـق والـزفيـر
والشارع المترامي على مـد النظـر
يسكنـه الغـول المـدنـي .
ذهبت في هـذا الفجـر
الـى مقبـرة الشهـداء
الواقعـة شرقي « قصور » شانيلا / المليئة بالكبريـاء الوطني .
واتعظـت قليـلا
بالذين فعلوا التجربة من قبلـي .

ـ 3 ـ

سـوف أقـول لـك شيئـا
وسـوف تتـذكرينـه بالخيـر أو بالشـر
لا يهمنـي يـا « جفـرا » الجميلـة
اذا كان قلبك من أصداف « صيدا » .. و « صور »
أو من زجاج « الخليل »
سـوف تقولين يـومـا يـا جفـرا :
لك المجد أيها « الملك الضليل » .

ـ 4 ـ

قدمي اليسرى .. أصابتها شظية من الحـرب
يدي اليسرى .. تزحلقت على ثلج كالصابون
عيني اليسرى .. أزعجها أحد لصوص القبيلة
ومـا زلت أشكـو يـا جفـرا
من قدمي اليسرى ، يدي اليسرى ، عيني اليسرى ،
من الحرب من الجليد من لصوص القبيلة .
في تلك الليلة ، أذكر أنني صرخت كأي ديك احـمر
وهم يلقون هراواتهم الثقيلة على عرفي النحيل
كان الدم يعفر بنطلوني .. يا جفرا .
وفي ذلـك النهـار
كنت أركض بين البساتين .. وكنيسة « مار مخايل »
عندمـا هبطت الفئيفـة كالمـلاك
لكـن التـراب .. حمانا .. يا جفـرا ،
أما الثلج الذي كالصـابـون
فتلك عو امل التعرية .. يا جفرا الجميله .

ـ 5 ـ

أستنـد الـى حائط الشارع .. ك « ...،،، ـه »
مدعيا أنني انتظـر التـرام
وأنا أنتظر ف،، ل،، س،، ط،. ي .. ن
تـمـــر
لا تـمـــر
تـمـــر
لا تـمـــر
تـمـــر
لا تـمـــر
والله العظيم الذي تؤمنين به يا جفـرا

لا أعـرف : متـى ؟
ولا أنت يـا جفـرا
ولا هـم يعـرفـون ذلـك .

ـ 6 ـ

مسكيـن .. أنت يا « عبـاس » .
مسكين أنت يا ابن أمـي وأبـي
مسكيـن .
خبأت عمامة الشيـوخ في تـلافيفك
واعتقـدت أن ذلك الشيء
سيقيك برد الشتاء وصهيل القيظ
مسكين أنت يـا عبـاس
كنت تظن أن النار لا تحرق العمائم
بل ستكون عليك بردا وسلاما بإذنه .
لانـك لا تسـرق
لانـك لا تـزنـي
لانـك لا تشـرب الخمـر .
ها أنت تجرب بنفسك يا ابن أمي وابي
ها هم يجلدونك بالسياط المقدسة
ويجرونك الى الثكنـة
وهـم مثلك يـا عبـاس
يحملون تلافيف الشيـوخ
في أدمغتهـم الوطنيـة
مسكين يـا ابـن أمي وأبـي
لقد تعفر بنطلوني بالدم مثلـك
مسكيـن أنت يـا عبـاس .

ـ 7 ـ

وقف حاجز اللغة .. قبل سنـوات
بينهم وبين الحقل والبندقية والمصنـع
وهـا هـم يعودون الآن ..
فاغفروا لهـم هـذه المـرة
اغفـروا لهـم
ما تقـدم مـن ذنبهـم .

ـ 8 ـ

اطيلـي ضفـائـرك
هكذا كان وجهـه الاجـاصي .

لكنها كانت ثقيلة على المحطة
فعرفت أنها لم تكن « غيره »
انه الفراق .. يا « جفرا »
لأن شعرك أسمر
وشعره كالحجر الأسعد
واحسرتاه
كم أنا حسن النية .

— 11 —

أمي يا أمي يا أمي
يا سدرة الوطن السمراء
بعد أربعة عشر عاما
هل حلت مشكلة « البئر » ؟ .
بين والدي — الذي على حق
وبين رجال القبيلة — المدلجين في الليل
واحسرتاه يا نفيسة
بيني وبينكم جدار
عمره أربعة عشر عاما
هل ما زلت سمراء وطويلة ؟

— 12 —

يمر المخبر كالكلب
حتى هنا في المنفى
أنتقم منه — يا جفرا — بقلبي
يمر هنا في المنفى
وفي مطاعم الغربة
هل تصدقين — يا جفرا
انني أشفق عليه
لأنه غريب مثلي
لكنه لا يدرك غربته .

— 13 —

أربعة منافي وأنت الآن منفي
والعرب العاربه
يتابعون آثاري — والحق يقال — بموضوعية .
وينثرون الأموال — الحق يقال — بسخاء
والنفي قلبه من حجر يا نفيسه
قولي لأبناء العمومة يا أماه

هـل حلت مشكلـة البئـر ؟ .
أربعة مناف .. وأنت الآن سجـن :
هرم ورمل وأرزة وصوفيـا
والخليل الآن سجـن
أربعة مناف وأنت الآن ثورة .
واحسرتا قلبي يا « أم علي النصراويه »
لماذا تضحكين في أعراس الشهداء ؟ !

ـ 14 ـ

بعد سماع نشرة الاخبار العربية
يكون لـي نصيب من المـوت
كأى مـواطـن صالـح .
سأظل أبكـي عنـد نهـر الليطانـي
كـي أحبـك اكثـر .
فقد كنت أحـب أمـي كثيـرا
اذهبـي الـى البحـر
وتـداخلـي معـه
امسحي جسدك بالرمل والشعـاع
وتمـددى
ضعي قدميك في رأس الخليـج
ورأسك في وهـج الـرمـل
فقد كانت أمي سمراء وطويلـة
تركض كشجرة « الميسن »
في « مرج بن عامـر » .
واحسـرتـاه .

ـ 9 ـ

لا تغازل الأشجـار
حتـى أعـود .
لا بأس اذا غازلت الشجرة التي تجلس قربك .
لا بأس أن تعصر « الخليل » قطرة قطره
وتشرب كأسك حتى النـزف
في آخر هذا الوطن الموحش .
واحـذر مـن الجـرسـون
فان بسمته كالجبنة الكشكوان .
أنت الآن في زنـزانتـك
وأنـا أتجـول في منفـى جـديـدا

هل تذكر يا « ع. ل »
عندما كنا نغني على شط العرب
وكان « جاك بيرك » يرقبنا بفرح .
هل تذكر يا « عين لام »
حين هززنا أرجاء بيروت
كانت قصيدتك ضد السيدة
وكانت قصيدتي ضد السيد .
كان ذلك قبل ثماني سنوات .
حين طالبوا برجمنا وفقا لشريعتهم .
بعد المطر .. تأتي العصافير .، يا رفيق
مبللة الريش
وليس لك سوى ارتعاشاتها
واحسرتاه يا « عين لام »
لك زبد البحر
ولهم البحر
« حقا انه زمن أسود »
يا برتولدبرشت .

ـ 10 ـ

أصفر ، أصفر ، أصفر
كالغيرة ،
ـ واسألوا القاموس اذا لم تصدقوني ـ
الذى ينبع ـ الآن ـ ويصب
في هذا المقهى الرمادي
في مدينة « صوفيا » .

ـ 15 ـ

ـ لماذا بدا قلبي بالرغيف ـ أيتها الجرسونة ؟
ـ لانني أشبه « عائشه » التي في « أريحا » ـ ايها الفتى
ظللت والله العظيم الذى تؤمنين به يا عائشة
ـ رغم الفواصل غير الموسيقية ـ
ظللت أذكرك طيلة السنين
ما زلت أذكرك بالخير
والله العظيم الذي تؤمنين به
يا عائشة .. التي تقيم الآن في « أريحا » .

- 16 -

مملكـة الحجر ، يا مملكة الحجـر
انني أحبك يا مملكـة الحجـر .
جرار الذهب في مغاور البـريـة
والكنعانيون يقيمون حضـاره
وأنـت تضحكيـن
وهـم في السجـون
وهي كانت طالبة في الجامعة
مملكـة الحجر يا مملكـة الحجـر
انهم يترجمونك الآن الى اللغة العبرية
كي يصبح للعبرانييـن تـراث

- 17 -

أريد أن انقل مدينة الحدائق الى مدينة الحرائق
ومدينة الحرائق الى مدينة الحدائق .
او
أحمل الجبل والبحر والأرز والمدينـة
وأطيـر .
أطيـر
حتى تصبح الديمة السكوب
خاضعة لارادتنا الوطنيـة .
غدا سوف يقيمون حرزا من الصلوات
بيني وبين الحمام العسكـري
هـنـاك
سقـا اللـه
كانت تلهو « عروس البحر »
وتحتفل بعيد ميلادهـا الخمسيـن .
لا تغازلي الأشجار .. حتى أعـود
فانا ضائع في مؤامرة الحنين الأبـدي
يا بيروت الطعنة والميلاد .

بلغاريا ـ صوفيـا
اغسطس 1978